E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

الجزائريون الفارون من الجيش الفرنسي و اتصالاتهم بألمانيا و الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى في ضوء انطباعات الملازم بوكابوية (1915-1917)

Algerians fleeing French army And their contacts with Germany and the Ottoman Empire During the first world war At light impressions Lieutenant boukabouya (1915-1917)

أ.د. حنيفي هلايلي

جامعة سيدي بلعباس

hanifi_andalous@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: **2019/01/10** تاريخ النشر: **2019/03/05**

الملخص:

هذه الدراسة هي مشروع لترجمة كتاب بوكابوية، حول أوضاع المجندين المغاربة عامة و الجزائريين خاصة و فرارهم من صفوف الجيش الفرنسي على جبهات القتال الأوروبية خلال الحرب العالمية الأولى. كما ترصد لنا الدراسة الكيفية التي فر بها الملازم الجزائري رابح بوكابوية في أفريل 1915رفقة سبعين من رفقائه نحو المعسكر الألماني ؟ كيف عرض بوكابوية خدماته على تركيا و ألمانيا؟ من كان وراء الكتابات الدعائية ضد تصرفات الجيش الفرنسي تجاه الرعايا المجندين من المسلمين عامة و المغاربة خاصة؟ هذه المؤشرات كانت حافزا لكلا المعسكرين المتحاربين خلال الحرب للعمل نحو السماح بإقامة الشعائر الإسلامية ، و المباشرة الفعلية في احترام الإسلام و تدشين المساجد و المراكز الإسلامية كسياسة جديدة في أوروبا.

الكلمات الدالة:

الجزائريون، المجندون، الجيش الفرنسي، الدولة العثمانية، ألمانيا، الحرب العالمية الأولى، بوكابوية

Abstract:

This study is a project to translate the book of Boukabouya, About public and private Algerian Maghrebin recruits in theranks of the French army on European fighting fronts, During the first world war. Our study also monitors how far her Algerian lieutenant Rabeh boukabouya, In April 1915 with seventy of his towards German camp? How to display boukabouya coverage on Turkey and Germany? Who was behind the propaganda writings against armyrecruiters Muslim nationals towards equine and Maghrebin. These indicators were the catalyst for both camps belligerents towards respect for Islamic rituals. The actual direct and in respect for Islam and allowing religious centres in Europe.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

Key Words :
The Algerians, conscripts, The French army, Ottoman Empire, Germany, The first world war ,Boukabouya

أدى التنافس الألماني الفرنسي قبيل وغداة الحرب العالمية الأولى في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا إلى محاولة كل طرف استغلال العامل الديني للمنطقة ومحاولة استغلاله وتجييشه ضد الطرف الأخر ، فعمدت فرنسا إلى استنفار الطرق الصوفية الموالية لها في المغرب العربي عامة والجزائر بشكل خاص وشيوخها لدعوة الجزائريين للوقوف معها في الحرب ضد الألمان، أما ألمانيا فحاولت أن تستغل علاقاتها الجيدة وتحالفها مع الدولة العثمانية ووزنها الروحي كرمز للخلافة الإسلامية بالدعوة إلى فكرة " الجهاد" ضد الفرنسيين باعتبارهم غزاة محتلين حاربوا الدين الإسلامي، وضمن هذا الخندق أو ذاك برزت شخصيات جزائرية. ومن بين أولى الشخصيات الجزائرية التي كتب باللغة الفرنسية حول انطباعات المجندين المغاربة في فيالق الجيش الفرنسي كتاب الملازم **رابح بوكابوية** الذي فر من الجيش الفرنسي في أبريل 1915 [(1)].
لقد مكث بوكابوية في السجن ببرلين رفقة الفارين معه بغرض التحقيق من طرف الهيئات العسكرية الألمانية لينتقل بعدها إلى عاصمة الخلافة العثمانية حيث وضع نفسه تحت خدمتها، عاد بعد ذلك إلى سويسرا للعمل إلى جانب الألمان. في كتابه تناول أوضاع المغاربة عموما في صفوف الجيش الفرنسي سيما ما يتعلق بالإسلام في أوساط المجندين و أوضاع المجندين الجزائريين خاصة . قدم في كراسه تفاصيل دقيقة عن ممارسة المجندين المسلمين في الجيش الفرنسي للشعائر الدينية من صلاة و صوم و أطعمة و أشربة، وهو الأمر الذي ساهم في فضح معاملة فرسا لرعاياها المسلمين القابعة أوطانهم تحت نير الإستعمار ، مما أدى بفرنسا إلى التفكير بجدية نحو وضع خطة استعجالية للرد على هذه الكتابات الدعائية الموجة ضدها من طرف المعسكر الألماني تحت غطاء فار جزائري من صفوف الجيش الفرنسي. ساهمت هذه السياسة في إيجاد حلول ملائمة بغية كسب تعاطف المسلمين مع القضايا الفرنسية خلال و بعد الحرب العالمية الأولى.

ارتبطت مسألة الهوية بالتاريخ و الذاكرة في المجال العربي منذ القرن التاسع عشر و ذلك في مواجهة الحضور العثماني و مواجهة الاستعمار الأوروبي بأبعاده الثقافية و الحضارية. يقودنا هذا إلى البحث في المضمون الوطني والبذور الأولى للفكرة المغاربية. من خلال مشاركة المغاربة في الحرب و التي أدت بالدول الأوروبية خاصة ألمانيا و فرنسا من الاعتراف بالشعائر الإسلامية و إقامة مساجد في عواصمها للعبادة. ويتجلى جديد هذه السياسة في تأسيس جامع باريس

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

و تكاثف جهود النخب الدينية المغاربية(تونس، الجزائر، المغرب) .

لماذا تم اختيار مذكرات **بوكابوية** في تأسيس لما يسمى بالذاكرة الجماعية لسكان المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى؟ لا شك أن المسارات التي رافقت انتشار هذا الكتاب في الدوائر الإعلامية و الأدوار التي لعبتها كل من فرنسا و ألمانيا للتأجيج و ردود الأفعال، هي السبب في اختيارنا لمعالجة هذا الموضوع التاريخي. تجدر الإشارة هنا أن تثمين مذكرات **بوكابوية** كان وراء الشعارات التي حملتها تلك الكتابات حول الهوية المغاربية ، الأساليب الدعائية حول أوضاع المجندين ، حرية تطبيق الشعائر الدينية، العادات و التقاليد.

الحرب العالمية الأولى وبداية الاعتراف بحرية الشعائر الدينية:

ساهم مجندو المغرب العربي مساهمة كبيرة و بالعشرات الآلاف من خيرة الشباب في أطوار الحرب العالمية الأولى إلى جانب الجيوش الفرنسية، وهو الأمر الذي حمل فرنسا على الإسراع بالاهتمام بالإسلام و بشعائره لدى المجندين. تزامن وصول السلطان العثماني **عبد الحميد الثاني**(1842-1912) إلى السلطة سنة 1876، مع انحصار خطير في حدود دولته بعد فقدانها للعديد من أجزائها سواء في أوروبا، أو في العالم الإسلامي، جراء النزعة الانفصالية للشعوب و القوميات، وتكالب القوى الاستعمارية و تآمرها على تقطيع أوصال " الرجل المريض" . ومن جهة أخرى برزت ألمانيا كقوة ناشئة، أصبحت في حاجة ماسة إلى مجالات حيوية لإنعاش اقتصادها، الأمر الذي أغراها بمجال الدولة العثمانية، ليس فقط لموقعها الاستراتيجي فحسب، و إنما لاتساع أسواقها و تنوع شعوبها ،فعملت على اكتساحها في اطار سياسة" سياسة الاندفاع نحو الشرق " التي اعتمدها الإمبراطور **غليوم الثاني**GuillaumeII (1888-1918) و تأكيد لذلك التقارب العثماني- الألماني جاءت زيارة الإمبراطور الألماني إلى الأستانة في نوفمبر 1898، معلنة عن بداية تغلغل ألماني اقتصادي و عسكري و سياسي، شمل مختلف أرجاء الدولة العثمانية، استغلال منها لثقلها الروحي على المسلمين آنذاك. ولقد أكد **غليوم الثاني**- على هامش زيارته لعاصمة الخلافة العثمانية أنه: " صديق الثلاثمائة مليون مسلم المجلين للخليفة العثماني.."، و أنه مستعد لإنقاذهم من وطأة مضطهديهم، كما تلقب بلقب" **الحاج غليوم**"، وهو أمر انتشر بين المسلمين الذين ظن بعضهم أنه اعتنق فعلا الإسلام [2] و باندلاع الحرب العالمية الأولى ،انساقت الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا ، و اعتبرتها فرصة لتنوير مسلمي الدولة على القوى الاستعمارية الأوروبية، مستغلة نفوذها الروحي حيث لم يلبث السلطان العثماني أن وجه بيانا إلى مختلف جيوشه ، كما أصدر شيخ الإسلام فتوى شرعية [3]أعلن بمقتضاها الجهاد المقدس ضد الحلفاء، وهكذا عرفت عديد المناطق في العالم بالموازاة مع المعارك العسكرية معركة إسلامية و دعائية ،استعمل فيها الإسلام من قبل الطرفين المتحاربين تأكيدا من كل منهما على احترامه و تمكين رعاياه من المسلمين من ممارسة شعائره.[4]

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

من الواضح أن مساهمة المغاربة في المجهود العسكري كانت كبيرة حيث قدمت الجزائر طيلة الأربع سنوات للحرب سواء من جنود أو عمال حوالي200 ألف نسمة، وهو ما يعادل 4% من ساكنة الجزائر، و 20% من سكانها النشطين، وقدمت تونس 80.339، و 40.398 بالنسبة للمغرب، مما رفع عدد المشاركين من البلدان الثلاث طيلة الحرب إلى 300 ألف جندي، مما جعل الخسائر في صفوفهم مروعة. كما كان لهؤلاء الجنود المسلمين دور بالغ الأهمية في عديد المعارك الطاحنة [5]. لقد رصدت لنا دراسة **تلهين** أن مجموع العام للمجندين المغاربة في الحرب بلغ 518.698 منهم 173 ألف من الجزائريين، و 60 ألف من تونس، و 37.150 من المغرب الأقصى، فقدرت بذلك نسبة المقاتلين من شمال إفريقيا بـ 63% و أن 13% منهم قتلوا بالإضافة إلى الآلاف من المفقودين.[6] هناك مسألتان جديرتان بالدراسة هماّ: أهداف الجزائريين من المشاركة في الحرب، و الطريقة الفرنسية التي استعملت لتجنيدهم، أي كيف حصلت فرنسا على ولاء الجزائريين لها ؟ بإمكان الدارس أن يتساءل كيف وضعت الحرب العالمية الأولى الحركة الوطنية الجزائرية أمام معسكرين؟ معسكر الأعداء و معسكر الأصدقاء [7]. إن فرصة الاختيار كانت غائبة منذ سنة 1830، حيث فتحت الحرب أمام الحركة الوطنية الجزائرية أفاقاً بخصوص فكرة توازن القوى العالمية، فقد كانت ألمانيا و الدولة العثمانية المنافستان لفرنسا، صديقتين في نظر الجزائريين. ففي سنة 1915،كتب أوغسطس برنار ما نصه :" بدأت ألمانيا دعايتها في الجزائر منذ سنة 1910، و كانت تصر على ألمنة الجزائر ، وبث دعايتها عن طريق السياح و التجار، و المثقفين، و الجواسيس الذين ترددوا على الجزائر قبل الحرب، و استعملوا كل الفرص لإثارة الجزائريين ضد فرنسا " [8].

يبرز سعد الله في كتاباته أن الدعاية الألمانية –العثمانية في أفريقيا الشمالية عموما، وفي الجزائر خصوص كانت سطحية فلا إعلان الجهاد و النشاطات الدعائية قد نجحت في خلق ثورة جزائرية[9] لصالح الجامعة الإسلامية.[10] من الواضح أن تأثيرات الحلف التركي الألماني ، ودعاية الجامعة الإسلامية قد بدأت تتوغل في أوساط المجندين المغاربة في جبهات القتال ، فالحديث عن وفاء و إخلاص الجزائريين لفرنسا خلال الحرب العالمية الأولى لم يكن سوى من طرف المجندين المتجنسين فقط و الذين وصل أفرادهم في تراتبية الجيش الفرنسي إلى رتبة ملازم.[11]

وتجدر الإشارة هنا أن الشيخ محمد الخضر حسين(1876-1958) كان من الذين الذين شاركوا في النشاط المعادي لفرنسا خلال الحرب ، فقد ساهم في تأسيس اللجان المضادة و الكتابات الدعائية مع توعية الجنود الهاربين، كما مثل قضية الجزائر و تونس في المؤتمر الثالث للقوميات الذي انعقد بلوزان سنة 1916 رفقة محمد **باش حانبه** (1881-1920) . طالب هذا الأخير باسم القومية الحكم الذاتي لكل بلدان أفريقيا الشمالية. و أنشئت خلال هذه المرحلة : لجنة استقلال الجزائر و تونس[12] . وقد أصدرت دورية بعنوان مجلة المغرب في برلين بقيادة

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

صالح **الشريف التونس**(1869-1920) مكونة من التونسيين و الجزائريين الهاربين من الجيش الفرنسي.[13]

شخصية رابح بوكابوية المدعو الحاج عبد الله:

ولد **رابح بوكابوية** في الشرق الجزائري بمدينة ميلة سنة 1871 في وسط عائلة برجوازية، تخرج من مدرسة بوزريعة بالعاصمة الجزائرية، واستقر بقسنطينة منذ العام 1910، امتهن التعليم حرفة له، كما تقرب من رجال الإصلاح مثل الدكتور **موسى بن شنوف** و المحامي **مختار الحاج** أحد أبرز وجه حركة الشبان الجزائريين .[14] انخرط في صفوف الجيش الفرنسي و تقلد رتبة ملازم ، كانت مشاركته في الحرب إلى جانب الجزائريين في الفرقة السابعة (الترايور). فر من الجيش في أفريل 1915 رفقة 78 من جنوده أغلبهم ينتمون إلى عمالة قسنطينة في منطقة بايلي بـــ لا سوم(Bailly -Somme) ، وهذا بسبب سياسة التهميش و التمييز و عدم تقليده لرتبة نقيب بعد مقتل قائد فصيلته ، حيث استبدل بمعمر من الجزائر خريج مدرسة مليانة العسكرية، مما تسبب في إهانته بهذا الشكل اللافت للنظر الذي يدل على سياسة التفرقة و التمييز العنصري ، خاصة أن فرنسا كانت تقوم بمراقبة المجندين الجزائريين باستمرار و خاصة الذين ينتمون إلى فيالق الخيالة و الترايور.[15] تذمر **بوكابوية** من الحراسة الأمنية المشددة على الكوادر الأهلية(indigène)[16] من طرف الشرطة العسكرية الفرنسية في المعسكرات ،و كانت الرقابة مشددة بشكل رهيب على الضباط الجزائريين.

بعد فرار **بوكابوية** و جنوده من المعسكر الفرنسي تم اعتقالهم من طرف الألمان الذين وضعوهم تحت الرقابة و البحث في أسباب فراهم من الجيش الفرنسي و نقلهم إلى محتشد الهلال بزوسن(Zossen) على بعد ثلاثين كلم من برلين [17] كأسرى حرب . كما عامل الألمان الأسرى المغاربة و الجزائريين على وجه الخصوص معاملة طيبة لكسب ولائهم، وقدموا لهم بدلات عسكرية تركية، و أطعموهم الطعام الحلال وفق الشريعة الإسلامية.[18] يعد **بوكابوية** من أبرز الجزائريين المثقفين المتجنسين الذين كتبوا باللغة الفرنسية عن المؤسسة العسكرية بلسان حاذق.

ما كان لدعاية الألمانية أن تمر دون أن ترج فرنسا، و تجبرها على الرد عليها بسرعة و بإجراء مماثل، إيهاما منها للمسلمين بأنها أحرص من غريمتها على تمكين مجنديها من أدائهم لشعائر دينهم في أفضل الظروف، فقررت تشييد جامع شبيه بالذي شيد في برلين بأمر من الإمبراطور الألماني. و قد تم إعداد جامع وقتي بسرعة سنة 1916 بالضواحي الباريسية، و بانتهاء الحرب و تقدير السلطات الفرنسية لدور جنود المغرب العربي في الانتصار لها، كان وراء إجماع مختلف عناصر النخبة الفرنسية آنذاك على مكافأة بطولاتهم و تضحياتهم بتشييد جامع ضخم في قلب العاصمة باريس[19].

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

قام **بوكابوية** بالدعاية لمحور ألمانيا تركيا في كرافل(Krefld) بألمانيا و سويسرا في صفوف معتقل الصليب الأحمر الدولي بلوزان. يبدأ **بوكابوية** بكراس استطلاعي من ستة و أربعين صفحة بعنوان:" **الإسلام في الجيش الفرنسي (حرب 1914-1915)**" [20]، ليدرس فيه أولا نصوصا ذكر فيها الكاتب بتضحيات أبناء شمال أفريقيا المسلمين في الجيوش الفرنسية خلال الحرب العالمية الأولى من جزائريين و تونسيين و مغاربة، وكيف أبدوا الولاء التام لفرنسا الاستعمارية، وهو الأمر الذي استغرب له المستعربون الفرنسيون و حتى المعمرين أنفسهم .كما بين الدور الطلائعي الذي يقوم به الأعيان و المثقفون تجاه مواطنيهم تحت طائل الصمت و المأساة الاستعمارية ، وتذكيرهم بمساعي تركيا و ألمانيا التي استقبلت الأسرى بحفاوة و قدمت لهم كل التسهيلات من مأكل و مشرب و سمحت لهم بممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية و اطمئنان.[21]

تتميز كتابات **بوكابوية** بأنها كراريس محورية فقد قدم عنصرين جاذبين و مفيدين : عنصر تضحيات المغاربة عبر الإحصاءات ، وهو أمر لابد منه لفهم سياق الأفكار الذي وردت في الكراستين، وعنصر المشاهد لأحداث الحرب و السيناريوهات التي شهدها الكاتب خلال مجريات الحرب في كلا المعسكرين. لاشك في أن **بوكابوية** واع لظاهرة الحرب و تغيير موازين القوى، ولعل الفكرة الدافعة التي نقرأها صراحة في نصوص الكتابين هي فكرة إحداث القطيعة بين الولاء لفرنسا و التصور الاستعماري لها، و فكرة الهروب و الفرار و الدعاية المغرضة للسياسة المتغطرسة لفرنسا تجاه مستعمراتها. في المقابل، يتابع بالدراسة و التحليل الخطاب الذي بينه في سويسرا من خلال كراسه حول تجنيد ساكنة شمال أفريقيا خلال الحرب و هي تدخل في اطار حركية و دور الإسلام في يقظة شعوب المستعمرات و الحق في تقرير المصير، كما افتعل **بوكابوية** فكرة استقلال بلدان المغرب العربي لأول مرة في كراسه.

يقودنا **بوكابوية** إلى ذكر سلسلة من الانتقادات الموجه لوزارة الحرب الفرنسية في طريقة تجنيد الكوادر و الجنود المغاربة في صفوف الجيش الفرنسي و التغييرات التي أحدثتها الإدارة العسكرية منذ أكتوبر 1914 منها تكوين أفواج المقاتلين المشاة و دمجها في فرق مختلطة "الزواف".[22] و أكد في كراسه بأنه يستند إلى حقائق هي عبارة عن شكاوي مقدمة من طرف المغرب العربي أنفسهم.[23]

اللافت للنظر أن **بوكابوية** في كراسه امتدح أوضاع الأسر في معتقل الهلال ببرلين، وتحدث عن أوضاع جنود المغرب العربي و مسلمي الهند و روسيا، وكيف أن المانيا تحترم الإسلام و خاصة ما يتعلق بالأطعمة و الملبس و ظروف الإقامة، وهو الأمر الذي جعلها تشيد لهم مسجدا لإقامة الشعائر بكل حرية، والسماح لأئمتهم من تأطيرهم في المناسبات و الأعياد، وزيارة إمبراطور ألمانيا لهم. كما أشار إلى خطاب أحد الجزائريين الذي شهر بجرائم الاستعمار الفرنسي بالجزائر و تكذيب أطروحاتهم الرامية إلى تشويه الألمان بأنهم برابرة و سفاكين للدماء و ما تروجه دوائرهم

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

في جبهات القتال. و في الختام نوه بعدم احترام الاستعمار الفرنسي لشعور المجندين المغاربة في تمثيل مواطنيهم في المجالس النيابية و ممارسة عليهم منطق الديكتاتورية من طرف المعمرين. و ترك الآلاف منهم يعيشون تحت وطأة الفقر و البؤس و الإهانة، ومحاربة الإدارة لتيار حركة الجامعة الإسلامية و حركة الشبان سواء في الجزائر، أو تونس أو المغرب. ونستشف من نصوص الكراسة أنه نوه بتضحيات مسلمي المغرب العربي لما قدموه من تضحيات جسام خلال الحرب العالمية الأولى، و بأن الحاضر و المستقبل يخبأ لهم مصير مجهول.[24]

يذهب **بوكابوية** للتذكير بأن الكوادر المغاربية العسكرية كانت عبارة عن رسائل موجهة لجبهات القتال بدون هوادة، و أنه منذ سبعين سنة في الجزائر لم تفتح الإدارة الاستعمارية مدارسها لأطفال الجزائر عدا أبناء العائلات الكبرى و القياد المتعاونين معها، كما ذكر بالترتيب الهرمي للرتب العسكرية داخل الجيش الفرنسي من رتبة عريف إلى جنرال، و أن هناك ثمانية عشر رتبة لم يحظى مجندو المغرب العربي و بالأخص الجزائريين منها سوى على أربعة رتب أعلاها ملازم.[25] أثار **بوكابوية** بصفته شاهد عيان و رجل ميدان حول إدماج المشاة الزواف و بأنهم يدافعون عن الأراضي الفرنسية في الوقت الذي تنتهك فيه قوات الكولون أراضيهم و تحاول تخريب عاصمة الخلافة استانبول و بلاد الحرمين الشريفين، وهو من هنا يحاول إثارة حفيظة المغاربة للتعاطف مع ألمانيا و وإثارة الاضطرابات بين صفوف المجندين المغاربة ضد الجيش الفرنسي. اهتم أيضا بمسألة التجنيد الإجباري الذي طال شباب المغرب العربي و الجزائريين منذ العام 1912.[26] أشار إلى مقتل 27 شاب تونسي بسبب فرارهم من التجنيد بدون محاكمة، و تساءل عن الضغوطات الممارسة ضد باي تونس(محمد الناصر :1906-1922) و سلطان المغرب(السلطان مولاي يوسف بن الحسن: 1912-1927) الذي أجبرته الإدارة الفرنسية بالإقامة الجبرية بقصره بالرباط .وعن ظروف المجندين كتب بازدراء عن سوء التغذية و انعدام المرافق الصحية و تفشي الأمراض الصدرية و المعدية بين صفوف الجنود بسبب البرد و قلة الطعام، و الاستهتار بالمقدسات الإسلامية مثل الأعياد ، وصوم رمضان.[27]

يستمر **بوكابوية** في كراسه إلى تقديم بعض معطيات الحرب العالمية الأولى ووضعية المجندين المغاربة ، فتساءل عن جهل مسلمي شمال أفريقيا لعدد مجنديهم في هذه الحرب إلى جانب الجيوش ؟ ، و البالغ عددهم بنحو 200 ألف ، وقدم إحصائيات عن تعدادهم في هذه الحرب:

- المشاة الجزائريين و التونسيين و المغاربة المجندين طواعية و حسب رغبتهم : 47 ألف.
- المشاة الجزائريين و التونسيين تجنيدا إجباريا: 60 ألف.
- المشاة الجزائريين و التونسيين تجنيدا طواعية مدة الحرب: 10 ألف.
- أفواج الخيالة من السبايحية و القوات الإضافية: 20 ألف.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

- كتائب الصيادين من المغرب الأقصى: 15 ألف
- الخيالة من المغرب الأقصى: 15 ألف.[28]

في اطار سياستها أثناء الحرب العالمية الأولى، قامت فرنسا بمراقبة مجندي المغرب العربي، و الرد على كتاب **بوكابوية** في دعاية مغرضة من قبل شخصيات جزائرية هما: **عبد الرحمن القطرانجي**، **وبومزراق الوانوغي بن أحمد بومزراق** من مواليد مجانة سنة 1862، وتم الرد أيضا على فتاوي علماء استانبول بخصوص جهاد الفرنسيين خلال الحرب .[29] كما طلبت فرنسا من أحد ضباطها من الجزائريين المخلصين و هو العقيد شريف قاضي من منطقة قالمة بالرد على **بوكابوية**.[30] و تجدر الإشارة هنا أن فرنسا كلفت الوانوغي و القطرانجي بالرد على **بوكابوية** بكراس دعائي ، موسوم بـ" الإسلام في الجيش الفرنسي رد على أكاذيب".[31]

و الظاهر أن السلطات الفرنسية عهدت بالإشراف على إنجاز المسجد إلى مفتي الأصنام (الشلف)، الشيخ **بومزراق المقراني** ،حتى يكون المبنى مستجيبا من حيث اتجاه القبلة وأن تكون مكوناته وفق مقتضيات الشرع الإسلامي[32]. وقد تم توجيه **الوانوغي** كإمام بفرنسا سنة 1915، ووضعه تحت ذمة وزارة الحرب الفرنسية، أما الردود الدعائية ضد **بوكابوية** فقد أنجزت تحت إشراف وزارة الحرب الفرنسية .لقد طبعت فرسا زهاء خمسمائة نسخة قصد ترويجها في كل المستعمرات في اطار الدعاية المضادة.

بإمكان الدارس للكراس الثاني **لبوكابوية** [33] أن يلاحظ أن كراسه عبارة عن رد على **الوانوغي** و **القطرانجي** اللذين وصفهما بأنهما موظفين في القطاع الصحي بباريس لصالح مجندي المغرب العربي، و اتهمهم بخيانة الوطن و أنهم استعملوا كأبواق للدعاية الفرنسية "" أبواق الدعاية التي كتبها كل من **الوانوغي** و **القطرانجي** لا تنفع و تجدي بشيء لأن المغاربة لهم دراية بما يجري من محدثات الأمو. وقد رد على كتاب أكاذيب بما نصه: " أقول لهم (يقصد الوانوغي و القطرانجي) أنني عملت بمؤسسة الجيش الفرنسي مدة 23 سنة ، وتقلدت فارس اللفيف الأجنبي ، وطيلة الخدمة العسكرية ، تحصلت على عديد الأوسمة و النياشين الدالة على حسن الخدمة المقدمة للجيش الاستعماري، و حاربت بجبهات القتال بأوروبا و كانت مشاركتي في الحرب العالمية الأولى ضد ألمانيا زهاء 8 أشهر"[34] . و يمكن أن نلحظ محطات أساسية في الكراس الثاني حيث أوضح **بوكابوية** الصراع الاثني الذي أحدثه الاستعمار بين الفيالق المحاربة في الجيش الفرنسي و التفرقة بين السود السينغاليين و المغاربة ،وخاصة الجزائريين منهم لإحداث القطيعة ،فأورد مثل سينغالي كان يردد لنعث مسلمي شمال أفريقيا: " **Moslem blan ,ya pas bon** "[35] .

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

نستنتج من هذا التمييز العنصري الواضح من طرف السلطات الاستعمارية تجاه مجنديها، يدخل في اطار سياسة التفرقة و عدم حدوث تجمعات و تكتلت من شأنها زعزعة الجيش خلال الحرب العالمية بين جنود المستعمرات. و الحقيقة أن **بوكابوية** تحدث أيضا عن التراتبية في الجيش ،ووضع قوات المجندين المغاربة، و كيفية إقحامهم في جبهات القتال، و سياسة ألمانيا تجاه سكان شمال أفريقيا. تناول **بوكابوية** أساسا في مسائل مختلفة أهمها: [36]

- تجنيد المزيد من المجندين من شمال أفريقيا و أخدهم إلى جبهات القتال بأوروبا.
- تقديم فيالق المغرب العربي في مقدمة الصفوف على جبهات القتال.
- عدم الاهتمام بالمجندين المغاربة مطلقا خاصة ما يتعلق بالأوضاع الصحية و النفسية و المعيشية، و تكريس سياسة القمع و التسلط الاستعماري على الجنود في مجال أوقات الراحة و إخلاء سبيل الجرحى و المعطوبين.
- تدنيس الشعائر الإسلامية و عدم احترامها و على رأسها دفن الموتى و ما يتعلق بمستلزماتها. وتخصيص أماكن لدفن المسلمين.
- تطبيق حراسة شديدة على جنود شمال أفريقيا و تفتيش أمتعتهم باستمرار مع قراءة الرسائل القادمة إليهم من ذويهم في جبهات القتال.
- أوضاع المجندين المسلمين في المعتقلات الألمانية.

الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها من مجمل الكراستين التي تم دراستها هي أن الكتابات توزعت من خلال اهتمامين أساسين هما: معرفة واقعات و أخبار الحرب العالمية الأولى و مجرياتها و أوضاع مجندي المغرب العربي:

- أولهما اهتمام معرفي بأوضاع المجندين ينصب في الدعاية المغرضة المستوحاة من المخابرات الألمانية و التركية ضد الحلفاء و كلها لها علاقة بإقامة بوكابوية عندهم.
- -اهتمام معرفي بالدعاية لصالح محور ألمانيا تركيا، غير أنه امتد وظل فاعلا في زمن الحرب سرعان ما تبخر بعد نهايتها و انتصار الحلفاء على دول المحور.

ويمكن في هذا الصدد أخذ انطباعات عدة من الكراستين:

أ- التحكم الجيد في ناصية و مفردات اللغة الفرنسية و هذا يدل على المستوى الثقافي الرفيع الذي حظي به بوكابوية كأحد النخب الجزائرية المثقفة خلال الحرب العالمية الأولى.

ب- وضوح الأسلوب الدعائي المستعمل في كلا الكراستين من خلال توظيف الرموز السياسية كسلطان المغرب و باي تونس و خليفة المسلمين ، وذكر المقدسات الإسلامية كالحرمين الشريفين، و الحديث عن الشعائر الدينية لإيهاب المشاعر أدى مجندي المغرب العربي.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

ج- حرص **بوكابوية** على توضيح الرؤى السياسية لقضايا العصر، وهذا من خلال استعماله للمصطلحات التالية: التحالفات، القوى، الجامعة الإسلامية، التمثيل النيابي، تقرير المصير.

د- تقديم صورة حسنة لألمانيا و عاهلها في احترام الشعوب الإسلامية و مقدساتهم الدينية.

لا يمكن قراءة كتابات **بوكابوية** إلا من خلال إنتاجه للكراستين ما بين 1915-1917، فتتضح نصوص نشرياته على امتداد مجريات الحرب العالمية، حيث تتجاذبه هموم الاستعمار إلى أبعاد ثلاث : فهناك بعد للتاريخ الاستعماري في منطقة شمال لأفريقيا و بعد كموضوع لدراسة أوضاع المجندين في الجيش الفرنسي بجبهات القتال، و بعد كطموح سياسي و هو يعيش بين تركيا و ألمانيا لتحقيق مشروعه الدعائي في سياق معركة التي يفرضها منطق القوة و الحرب بعالميته التي انتقلت كفتها إلى المحور مما يفرض على **بوكابوية** العيش في المنفى بعيدا عن الجزائر.

انطلاقا من هذا كله فإن **بوكابوية** يعد من أبرز الوجوه المفرنسة الجزائرية التي طرحت فكرة استقلال بلدان المغرب العربي ، وقد اتهمت المخابرات الفرنسية بأن الكتابين من املاءات خفية، بعد توظيفه في وكالة أخبار الشرق ببرلين.

فتحت الحرب العالمية الأولى الطريق نحو بروز فكرة المضمون الوطني و البذور الأولى للفكرة المغاربية بين المجندين، ذلك أن مشاركة أقطار المغرب العربي ،جعلت كلا من فرنسا و ألمانيا الاعتراف بحق ممارسة الشعائر الدينية الإسلامية في أراضيها بين صفوف المجندين و بناء المساجد كخطوة أولى لهذا الاعتراف، وهو الأمر الذي جعل فرنسا تعمل على إنشاء جامع و معهد باريس من خلال تكاثف النخب الفرنسية و المغاربية من أجل تحقيق هذا المطلب الحضاري تحت المظلة الفرنسية.

صحيح أن الدعاية الألمانية من وراء هذه الكراريس قد فشلت في تحقيق اغراضها، وهذا راجع بالأساس إلى تجذر الاستعمار الفرنسي في البلاد المغاربية، وبفضل كوادر الإستشراق و النخب المحلية ،فلم يحرك الجهاد ساكنا عندهم وراء فكرته الدينية و السياسية، وظل دون صدى يذكر. كما أدت النهاية إلى تراجع هيبة السلطان العثماني الروحية ، ودعوته للجها التي أطلقها شيخ الإسلام، معتمدة على قوى مسيحية أوروبية(ألمانيا، النمسا)، فنزع عن تلك الدعوة صفة القداسة و الشرعية، وشكل سلاحا في أيدي دول الوفاق لتضع حدا للحلافة العثمانية. و إعلان الحرب في سوريا و العراق و الحجاز، و تحريض أشراف مكة على إعلان الثورة على العثمانيين و هذا لمصلحة فرنسا و بريطانيا، وأخذ الترتيبات التي مهدت للانتداب. (37)

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

بيد أننا في نهاية هذه الدراسة ننوه و نثمن الصفحات القليلة للكراستين على الجرأة السياسية الدعائية **لبوكابوية** و التي اتخذ ضجة إعلامية وقتذاك ، وجعلت الأطراف الأوروبية تعير الإسلام اهتماما بالغا في سياستها الداخلية و الخارجية عند التعامل مع الأشخاص و الدول. و تغيير فرنسا لخارطة سياستها الدينية في شمال أفريقيا. رهانات ألمانيا و تركيا باءت بالفشل في اطار حركة تراجعية بسبب:

- سياسة الدولة العثمانية تجاه الولايات العربية، وسياسة الاتحاديين ،الذين قدموا القومية الطورانية على حساب الجامعة الإسلامية و مصالح العرب.
- شبكة التحالفات التي أقامتها فرنسا و بريطانيا مع الزعامات العربية .
- لم تتخذ ألمانيا في عين الاعتبار مصالح العرب القومية و لم تحاول استغلالها ، بل ظلت طوال الحرب العالمية الأولى تراعي مصالح حليفتها الدولة العثمانية لكي تستعيد سيطرتها على الوطن العربي بعد نهاية الحرب.

الحواشي :

(1) هناك عدد من الجزائريين المتجنسين ذوي الثقافة الفرنسية وظفوا في سلك الإدارة و القضاء و التعليم و الجيش ، وهي فضاءات مختارة بعناية من قبل إدارة الاحتلال الفرنسي. ومن بين الإطارات الجزائرية التي كتبت باللغة الفرنسية زمن الاستعمار نذكرّ: بن شريف محمد بن سي محمد(1879-1921) - أول من ألف رواية باللغة الفرنسية خلال الفترة الاستعمارية- و إسماعيل حامد(1857-1932)، و الأمير خالد(1875-1936)، وسعيد قنون(1887-1940) ، و رابح زناتي(1877-1952). للمزيد راجع: Dejeux, Jean, Dictionnaire des Auteurs maghrébins de langue française, Paris, Karthala, 1984, 404 p.

(2) راجع: التليلي، العجيلي: " السياسة الدينية لفرنسا على الجبهة تجاه التونسين المجندين في الحرب العالمية الأولى "، **حوليات الجامعة التونسية،** عدد 32،(1991)ص ص 173-174. و أيضا: التليلي، العجيلي، **صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي 1876-1918**، ط1، تونس : منشورات كلية الآداب و الفنون و الإنسانيات ،جامعة منوبة، 2010، ص ص 137-139.

(3) حرر شيخ الإسلام خيري بن عون الأركوبي نص الفتوى يوم الجمعة 14 نوفمبر 1914، و علق الباحث التونسي العجيلي التليلي بأن هناك خلط يقع فيه الباحثون بخصوص الفتوى الشريفة التي حررها شيخ الإسلام، ونص بيان المجلس الأعلى الذي أمضى عليه 28 من العلماء و المشائخ ، ينظر: التليلي ،العجيلي، صدى حركة...، المرجع السابق، هامش رقم 2، ص 228. و قد قدم المؤرخ التونسي عبد الجليل التميمي التاريخ الصحيح لإعلان الجهاد المقدس،دراسات في التاريخ العربي العثماني 1453-1918، زغوان: منشورات مركز الدراسات و البحوث العثمانية و التوثيق و المعلومات، مارس 1994، ص 59.

(4) حول الدعاية الدينية الرسمية للدولة العثمانية و فحوى فتوى الإعلان عن الجهاد ، يراجع بالتفصيل: التليلي ،العجيلي،... صدى حركة، المرجع السابق، ص ص 225-242.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

(5) Meynier, Gilbert, « Les Algériens en France 1914-1918 », In, revue d'histoire Maghrébine, Tunis, n°5, 1976, pp.47-58.

(6) Télhine,M, L'Islam et les musulmans en France, une histoire de mosquées, Paris, l'Harmattan, 2010.

(7) أبو القاسم، سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، طبعة خاصة، الجزائر: عالم المعرفة، 2011، ج2،ص 239-240.

(8) نفسه، ص 241.

(9) نفسه، ص 247.

(10) تبنت الفكرة الدولة العثمانية، و كان من أبرز روادها جمال الدين الأفغاني (1838-1897)و محمد عبده (1849-1905).

و رشيد رضا (1835-1935) . ينظر: التليلي ،العجيلي، المرجع السابق، ص ص 95-99.

(11) Meynier, Gilbert, « Les Maghrébins en France 1914-1918, l'insertion des maghrébins dans l'armée », In, Cahier de la Méditerranéé,n°6,1,1973,pp.38-46,

(12) شجعت هذه اللجنة هروب جنود أفريقيا الشمالية كما عملت على استقبالهم و تكوينهم الفكري.

(13) سعد الله، المرجع السابق، ص ص 210-211.

(14) حركة الشبان الجزائريين تنظيم سياسي أسسه رجال النخبة للمطالبة بالحقوق السياسية. وقد بأ نشاطهم السياسي منذ 1892 من خلال الرسائل و العرائض ،كما قام هذا التيار بنشاط ثقافي واسع في كبريات المدن الجزائرية و أسس جريدة المشعل سنة 1904، و أصبح الأمير خالد ممثله الرئيسي منذ العام 1913. للمزيد راجع: سعد الله، المرجع السابق، ص ص 173-186. و أيضا:

Ageron,Ch .Robert, Les Algériens musulman et la France(1871-1919),Paris, PUF, 1968,pp.64-66.

(15) حول حياته يراجع:

Achour,Cheurfi, Petite Encyclopédie de l'Algérie ,Alger ,éd Dalimen,2012,V1,p.867.

Medarci ,Abdellali, Auteurs Algériens de la langue Française de la période coloniale ,dictionnaire biographie,Paris,l'Harmattan,2010,pp.98-90.

في اطار بحثنا حول هذه الشخصية لا حظنا أن أخباره انقطعت في برلين سنة 1940، يراجع:

Gerhald, Höpp, Texte aus der frende Arabishe politische publizitik in Deutschlan 1896-1945,Ein bibliographie Zentruöm Moderner Orient Germany 2000,p.29.

(16) يعد مصطلح أنديجانا – الأهلي- حالة اجتماعية ،قانونية، سياسية، ثقافية تعبر عن السكان الأصليين ،الخاضعين للاستعمار، طبق هذا القانون في الجزائر في 28 جوان 1881، و هو امتداد للمكاتب العربية التي تأسست سنة 1844،و أقرته فرنسا في جميع مستعمراتها منذ العام 1887.و يميز بين صنفين من البشر: المواطنون الفرنسيون، و الرعايا الفرنسيين: الأهالي. و هو يرمز إلى اللاعدالة الاجتماعية و القانونية، وقد بلغت المخالفات التي لحقت هذا القانون منذ 1874 و إلى غاية 1881 حوالي 27 مخالفة. بموجب قانون أبريل 1946 تم إلغاء قانون الأنديجنا، ولكنه أصبح سائر المفعول عند الدوائر الاستعمارية و في أذهان المعمرين إلى غاية استقلال الجزائر سنة 1962. للمزيد يراجع:

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

Dupuy, Aimé, « Remarques sur le sens et l'évolution du mots indigène », In, Information historique, n°3 paris, 1963.

(17) أنشأ معسكر الهلال في ناحية فنزدورف (Wunsdroff) ببرلين و تم تدشينه في 14 جويلية بحضور سفير تركيا في برلين1915، و بنى له مسجدا بمئذنة خشبية ارتفاعها 23متر، وكانت الغاية من المعسكر إيواء الأسرى المسلمين الذين يحابون في جيوش دول الوفاق، وخاصة من شمال أفريقيا. بلغ عدد الأسرى إلى غاية 1916 حوالي 15 ألف. و انتهجت ألمانيا سياسة تقوم على استغلال الجهاد لمصلحة أهدافها الاستراتيجية تحت عنوان: " الجهاد العثماني وضع في ألمانيا". ولتفعيل الدعاية بين الأسرى المسلمين ،تم إنشاء مجلة الجهاد يشرف على هيئة تحريرها فريق من المستشرقين الألمان و شخصيات إسلامية مثل عبد العزيز جاويش(1876-1929) و صالح الشريف التونسي و محمد خضر حسين. يراجع : عبد الرؤوف، سنو ،" **الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى**" ، في كتاب بحوث تاريخية مهداة إلى منير إسماعيل، تنسيق : محمد مخزوم و أحمد خطيط، بيروت، 2002، ص ص 179-254.و يراجع الدراسة القيمة : التليلي،العجيلي،**المعهد الإسلامي و جامع باريس: الساسة الإسلامية لفرنسا اللائكية 1920-1939**،ط1،تونس: الشركة التونسية للنشر و تنمية فنون الرسم،2016، ص ص 50-51.

(18) سعد الله، المرجع السابق، ص 244.

(19) التليلي، العجيلي، المعهد الإسلامي...،المرجع السابق، ص 50.

(20) Lieutenant El Hadj Abdallah, L'Islam dans l'armée Française (Guerre 1914-1915), Constantinople, 1915.46p.

(21) Ibid,pp.3-6.

(22) المشاة الجزائريين سمتهم فرنسا بالأتراك، وهم ينتمون لفيلق الجيش الفرنسي الإفريقي الذي كانت نسبة الجزائريين فيه تقدر بـ 90%، وظلت على هذه الحالة ما بين 1842-1964. أما الزواف أو زواوة، فهو اسم أطلقته قوات الاحتلال الفرنسي على سكان الجزائر و الذين تم تجنيدهم منذ أواخر العهد العثماني للموازاة مع عناصر الجيش الإنكشاري و كان هذا في عهد الداي علي خوجة السادس(1817-1818)،و جندت هذه الفرق ما بين 1830-1962، وتعد من أكثر الأفواج المغرب العربي تقليدا للنياشين العسكرية. و المتعارف عليه في السجلات العسكرية الفرنسية أنه خلال الحرب العالمية الأولى تم تجنيد تسعة فرق عسكرية من الرماة(Tirailleurs) الجزائريين ضد ألمانيا. للمزيد راجع:

Clayton, Anthony, Histoire de l'armée française en Afrique 1830-1962, paris, Michel Albin, 1994.

(23) Lieutenant El Hadj Abdallah, L'Islam, op.cit, pp.7-8.

(24) Ibid., pp.32-40.

(25) Ibid., pp.13-14.

(26) صدر قانون التجنيد الإجباري في 3 فيراير 1912،فكان وراء هجرة الألاف من الأسر الجزائرية نحو المغرب و تونس خوفا على أبنائهم ،فتقدم وفد جزائري بعريضة إلى الرئيس الفرنسي بوانكاريه بتاريخ 26 جوان 1912 ،يطالبون فيه التعويض عن الخدمة العسكرية و تعديل بعض موادها، **ريمون بوانكاريه** (Raymond Poincaré) سياسي فرنسي (1860-1934) تولى رئاسة الجمهورية الفرنسية الثالثة (1913-1920) . وفي عهده دخلت فرنسا الحرب العالمية الأولى .كما تولى رئاسة الوزارة في فرنسا ثلاث مرات:

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

- من 21 يناير 1912 إلى 21 يناير1913
- من 15 يناير 1922 إلى 6 جوان 1924
- من 23 يوليو 1926 إلى 29 جويلية 1929

راجع: أبو القاسم، سعد الله، المرجع السابق،ج2،ص ص 183-184.

(27) Lieutenant El Hadj Abdallah, L'Islam, op.cit, pp.19-28.

(28) Ibid., pp.9-10.

(29) أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، طبعة خاصة، الجزائر: دار المعرفة،2011، ج3،ص ص 107-108/ ج4، ص 377.

(30) تم الرد عليه بواسطة كتابه ألف لهذا الغرض:

Jean-Yves, Bertrand, Le colonel Chérif Cadi, serviteur de l'Islam et de la république, éd, Maisonneuve et larose Sd.

(31) جاء باللغة العربية بالصيغة التالية: القول الناصح في مجادلة الخائن الكاشح. في 59 صفحة. ووفقا للمصادر الفرنسية فإن المفتي عبد الرحمن القطرانجي مفتي الأصنام(الشلف حاليا) ابن أخ زعيم انتفاضة منطقة القبائل سنة 1871 المقراني، قد تميز باستعداده الدائم للتضحية من أجل فرنسا و الولاء لها الأمر ال\ي جعل السلطات الاستعمارية أن تجعل منه إمام بمسجد البستان بضاحية باريس في أبريل 1916،فاستغل منبره للدعاية بالنصر لفرنسا و حلفائها. كما تزعم حملة دعائية و استغل نفوذه لحث أبناء العائلات الجزائرية المتنفذة في الجزائر على الانخراط في الخدمة العسكرية في صفوف الجيش الفرنسي، و ركز دعوته على أتباعلا الطريقة الرحمانية ببوسعادة و الشلف، وقدمت له فرنسا الأموال و السفر مجانا على نفقة الإدارة الاستعمارية كافأته بأراضي بدائرة قسنطينة و ه\ا بأمر من حاكم الجزائر. ينظر: مسلم:" المساعدة الأدبية للعساكر الوطنية في فرنسا ،الأئمة "، جريدة الأخبار(الجزائر)،عدد 57 ،17 سبتمبر 1915.و الكتاب باللغة الفرنسية:

Mokrani Boumezrag el Ouennoughi et Katrandhi, Abdelrahman, L'islam dans l'armée Française, réplique à des mensonges, Alger, Sd, 59p.

(32) التليلي، العجيلي، المعهد الإسلامي....المرجع السابق، ص 59.

(33) Lieutenant indigène Boukabouya (Hadj Abdallah), Les soldats musulmans au service de la France, Nouvelle de Lausanne, Lausanne, 1917,88p.

(34) Ibid., pp.10-16.

(35) Ibid., p.21.

(36) Ibid., pp.38-39.

(37) للمزيد حول هذا الموضوع، يراجع:

عبد الكريم، رافق، العرب و العثمانيون،ط1، دمشق،مطبعة ألف باء،1974./ أحمد زكريا الشلق، العرب و الدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة: 1516-1916،ط1،مصر العربية للنشر و التوزيع،2002./ جورج، أنطونيوس ،يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية ،، (ترجمة : ناصر الدين الأسد ،إحسان عباس)، ط8، بيروت: دار العلم للملايين.1987.